بسم الله الرحمن الرحيم

النّابِغَة الذُّبيانيّ

حياته: أبو أُمامَةَ زيادُ بن معاويةَ بن ضبابَ الذبياني، لُقِّبَ بالنابغة لأنه. بحسب ما روي. نبغ في قول الشعر بعد أن أسنّ واحتَنك.

والنابغة لقب لشعراء عديدين، منهم النابغة والجعديّ والنابغة الشيباني وشاعرنا النابغة الذبياني، وهو أشعَرُهُمْ دون منازع.

هذا وقد نُقِل أن النابغة اتّصل بالغساسنة قبل أن يتّصل بالمناذرة[1]، بيد أن الثابت أنه أقام في الحيرة منذ سنة (530م)، حيث عقد صلة وثيقة بأميرها المنذر ابن ماء السماء.

ولمّا آلَ العرش إلى عمرو بن هند بعد نيّف وعشرين عاماً مِنْ أوّلِ اتصالِ للنابغة بالحيرة، فإن الحالَ لم تدم له؛ فسرعان ما دبّت جفْوةٌ بين الأمير والشاعر ألزمته مغادرةَ الحاضِرة إلى حوران ثم عاد في إثر مقتل عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم، ولمّا اعتلى النعمان بن منذر العرش نجد الشاعر يقبل عليه بالمدح، ثم يقبل الأمير بالمال والمكانة للنابغة.

ولما كان دوامُ الحال من المُحالِ، فإن ثمةَ أمراً عكّر صفو هذه الصّلة الحميمة بين النعمان والنابغة، فغضب النعمان، وكثرت المذاهب لبيان السبب

---

(1) انظر كتاب الدكتور محمد زكي العشماوي (النابغة الذبياني؛ مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية) والعصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف.

الذي أدّى إلى ذلك، ولا مجال لذكرِها هُنا، غير أنه يُحسن أن نذكر أن الكثير أجمع على قصة رؤية النابغة لزوج النعمان قد حسَرت الستر عنها، مما دفع النابغة إلى وصفها في قصيدة أثارت جدلاً كبيراً فيما بعد كما أثارت سخط النعمان. إن صدقت الرواية..

المهم أن النابغة. حل من الحيرة. ونفسُه توّاقةٌ لها. إلى بلاد بني غسّان، حتى إن رحليه كان أشدَّ مرارة عليه من مكوثه في الحيرة وسخط النعمان عليه، وهو. وإن مدح الغساسنة طيلة مكوثه لديهم. نجد أنه يميل نحو الحيرة وأميرها، ومن ثم نجد أن مدحه للغساسنة أشبه ما يكون بالسياسة.

ويدور الزمان دورته فنجد النابغة يعود إلى بلاط النعمان في فرصة سانحة استغلّها، حيث تذكر كتب التاريخ أن رجلين من بني فزارة يتمتّعان بحظوة لدى أبي قابوس قد صحبا الشاعر في خفية إلى الحيرة وعمدا إلى دسّ أبيات نظمها النابغة للأمير عن طريق جارية تغنّت بها، ولمّا سمع غناءها أقسم إنّ هذا الشعر إنما هو شعر النابغة، وكُشِفَ الأمر ونال النابغة عَفْوَ أبي قابوس وتقريبه.

ديوان النابغة وشعره:

رُوِي ديوان النابغة الذبياني من طُرُقٍ عديدة، لعلَّ أشهرها رواية الأصمعي، تليها رواية ابن السكيّت. قام بعد ذلك الأعلم الشنتمري برواية الديوان في أتم صورة له، مضيفاً على رواية كل من الأصمعي وابن السكيّت بعضاً من الشعر ممّا سمعه من أشياخه من مثل الطوسيّ والشيباني أبي عمرو، والمفضل وغيرهم.

وطُبِعَ الديوان أوّلَ مرة ضمن مجموعة مؤلفة من دواوين ستّ شعراء جاهليين هم امرؤ القيس وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة والنابغة، وسُميت هذه المجموعة العقد الثمين في دواوين الشعراء الستّة الجاهليين، وكانت سنة 1869م.

وقيل إن الديوان طبع قبل ذلك بعام واحدٍ منفرداً. أي عام 1868م. على

يد مستشرقٍ آخر. بعد ذلك توالت الطبعات منذ ذلك الحين، فنهض له كثيرون من المستشرقين وأكثر من العرب، حتى شاع وتواترت الطبعات.

وقد جهد كلُّ مشتغلٍ. جزاهم الله جميعاً خير الجزاء. أن يقدم عمله على خير ما يرتضيه البحث العلمي ودأبوا جميعاً إلى إيصاله في خير صورة، ولكلٍّ مجتهدٍ نصيب.

هذا وقد تراوحت أشعار النابغة بين النتف والقصائد الطوال، فتجد في ديوانه قصائد مؤلفةً من بيتين اثنين، وتجد مطولات تنوف على الأربعين بيتاً من مثل المعلقة التي تعد من عيون شعره خاصة والشعر العربيّ بعامة.

ومطلع هذه القصيدة:

يـا دارَ مَـيَّـةَ بـالـعـلـيـاء فـالـسَّـنَـدِ أَقْـوَتْ وطـال عـلـيـهـا سـالـف الأمَـدِ

وينبغي علينا أن نذكر أنّ عِدّة مقطوعات النابغة وقصائده رَبَتْ على السبعين وهي ممّا وُثِق به أنّه له، لأن شعره تعرض إلى غير محاولة للدّس والنحل. بيد أن بصائر الألباب مِمّن مَنَّ الله عز وجل عليهم نقدت السليم من السقيم، وأبرزت الصحيح من الزائف.

وقد أشرنا في طبعتنا هذه في التمهيد لكل مقطوعة وذكر المناسبة إلى المنسوب والمنحول مع ذكر للمصدر الذي أخذناه منه.

أغراض الشعر لدى النابغة:

تنوعت أغراض الشعر لدى النابغة، فَحَفَلْت أشعاره بموضوعات شتى، لَعَلَّ أشهرها الاعتذار والمديح إلى جانب الهجاء والغزل والوصف، وسنأتي على الحديث عن هذه الموضوعات واحداً واحداً.

١ - **الاعتذار**: يعدُّ النابغة بِحقٍّ أبّاً لهذا الضرب، فهو وإن ألحقه بعض النقّاد بالمديح، إلا أنّه لون له ميزته التي تفرَّد بها النابغة من دون الشعراء ممّن سبقه وممّن لحق به فيما بعد.

ولا نطيل الكلام فنقول إن نشأة هذا الضرب كانت بسبب العلاقات التي أقامها النابغة ببلاطي الحيرة والغساسنة، وقد ذكرنا آنفاً. في حياة النابغة. كيف انتقل النابغة بين حاضرتي المناذرة والغساسنة وكيف آلت علاقة النابغة بأمير الحيرة أبي قابوس النعمان إلى مباغضة ثم اصطلاح.

وقد تراوح أسلوبه في اعتذارياته جميعاً بين تعليل لسبب مدحه الغساسنة ومبالغة في وصف حاله النفسية إلى مديح للنعمان وتعظيم لأمره وسلطانه ولا يخلو ذلك من تعريض بالوشاة والقسم على براءته مِمَّا نُسِبَ إليه.

٢ - **المديح**: نحن نعلم أن النابغة من أسياد العرب، وحياته تشهد له بذلك، إضافة إلى ما كان يتمتّع به من حظوة لدى الأمراء في الحيرة وجِلّق. ثم إن الأخبار الكثيرة عن أنه كانت تُضْرَب به حَبة حمراء يقضي بها بين الشعراء دليل على أنه من ذوي المكانة المرموقة.

فهذا وذاك كلّه إنما يمهّد لانتشار المديح في شعره بيد أنه يُرى أن النابغة لم يسعَ في ذلك للتكسّب بل نَشَدَ المقاصد الكريمة، ولمّا ذاق طعم العطاء انساق وراء هذه اللّذة، فكان شأن شعره في المديح شأنَ باقي الشعراء، لذا اتسمت الأفكار الشائعة في مديحه بالأنفة والرفعة والسمو.

وهذا لا يشين من الشعر أو يحطّ من قَدْر صاحبه، إذ إنني أحسبُني أن النابغة يريد أن يقول لممدوحه: إنما أريدُك أنْ تكونَ كما مدحتُك، ولا أريد لمدحي أن يكون كما تُريد.

وكفى بهذا عزة للنابغة أنِ استطاع أن يترجم هذه النظرة فعلاً.

٣ - **الهجاء**: كان الهجاء في شعر النابغة قليل الحظوة، والسبب في ذلك. على ما أحسب. واحد لا ثاني له، هو أن النابغة كان يتمتّع بالحنكة والسياسة، ما يجعله محبوباً حتى عند ألدّ خصومه لديه، وبالطبع صقلت حياة النابغة في بلاطات الملوك والأمراء هذه النظرة ولا بد لها أن تظهر بعد هذا في شعره، لذا نجد ذلك داعياً أساسياً لقلة الهجاء في شعره.

٤ – **الغزل**: وأما الغزل، فشأن وجوده في شعر النابغة شأن الهجاء، بيد أن السبب مغاير، وبالطبع تبقى أخباره الدَّليل على ما نقول والشواهد المبيّنة للدعوى.

نحن نعلم أنّ النابغة إنما سُمّيَ ذلك لأنه تأخر في قول الشعر، فأسَنّ حتى نبغ في الشعر، ولما كان الغزل يتطلب الانفعال النفسي، فإنني أحسب أن قلة الشعر في باب الغزل إنما كان بسبب طبيعة حياة النابغة إذ إنه تجاوز حياة اللهو والذكريات والانفعالات واستحالت حياته أكثر جدّيّة من خلال علاقاته بالملوك والأمراء.

بيد أنهُ لا يخلو ديوانه من شذرات في هذا الباب فرضتها عليه الحياة الرغدة في البلاطات والحواضر ذات الطبيعة الخلاّبة.

٥ – **الوصف**: وهذا الضرب من الضروب التي انتشرت في شعر النابغة، وهذا الوصف في صوره كلّها تراوح بين وصف للطبيعة وما تحتويها من حيوانات وصحراء وبيئة، وبين وصف للنساء كما نجده في قصيدة المتجرّدة.

إلاّ أننا نعتقد غير جازمين أنّ الوصف لم ينل تلك الحظوة إلا فيما يرتبط بحياة النابغة السياسية.

موقع النابغة بين الشعراء:

يجمع النقاد أن النابغة من أشعر شعراء الجاهلية لاعتبارات كثيرة؛ فقد وصفه ابن سلام في طبقاته على رأس الطبقة الأولى إلى جانب كل من امرىء القيس والأعشى وزهير.

كما أن النابغة قيل فيه:

«كان أوسُ فحلَ مُضَر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه».

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب يسأل عن قائل هذا البيت:

قالوا: النابغة.

قال: هو أشعرهم.

يريد أشعر شعراء الجاهلية.

وفي الأغاني جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: أي الناس أشعر، فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود. قال الذي يقول:

فإنّك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن المنتأى عَنْك واسِعُ

في إشارة إلى النابغة الذبياني.

فهذا نزر مما قيل في شاعرنا، وغيره كثير وحسبنا الاكتفاء بما ذكرنا في إشارة بالقليل إلى الجزيل.

وبعد، فإننا ـ بعد هذا ـ نقدم للقارىء هذا الديوان لعلّه يلقى القبول، والحمد لله أولاً وآخراً.